

نظرات في مباحث ومؤلفات

بقلم : الدكتور وليد الجادر

Paul Garelli: Le Proche-Orient Asiatique
Press Universitaire de France.
Paris. 1969.

يعتبر البروفسور بـسول كاريلي : وبصورة خاصة الكتابة البابلية •
Paul Garelli من العلماء الفرنسيين الشباب المختصين بدراسة العلوم الآشورية •
تعتبر اطروحة كاريلي : « الآشوريون في كبدوكيا » (١) من أجود الرسائل التي تبحث عن الآشوريين خارج حدود بلاد آشور ، ووضحت هذه الاطروحة كذلك قراءات للخط المسماري واللفظ الاكدي بلهجتها المتعددة ، وتحتوي أيضا على قراءات كاريلي للنصوص التجارية الآشورية والحثية • لقد استطاع كاريلي أن يضم في رسالته ترجمات جيدة لقراءاته هذه رغم كثرة الرقم الطينية التي قام بدراستها مدة تزيد على الاثني عشر عاما • وقد صدرت اطروحته

الكبير رينه لابات René Labat ، عضو الاكاديمية الفرنسية ، والمختص بالعلوم الآشورية والكتابات المسمارية ، ومن أساتذته كذلك البروفسور الفرنسي الكبير نيكول J. Nougayrol المختص بالكتابات المسمارية

(١) كبدوكيا : منطقة تقع في آسيا الصغرى وتعتبر من أهم المواقع فيها والتي لها ارتباط سياسي وتجاري وثيق مع الآشوريين •

ذلك ، حيث ان الرقم الطينية الآشورية المكتشفة في كول تبه « كانيش »^(٤) المعروفة تحت اسم كنهش أيضا وحدها تمثل حوالي ثلث مجموع الرقم المعروفة لدينا حتى اليوم ، علما بأن المجموعات الاخرى منها غير مدروسة حتى يومنا هذا ، وهي محفوظة في المتحف التركي بأنقرة •

يوضح كاريلي أيضا في اطروخته الطرق التجارية المؤدية الى مستعمرات الآشوريين في آسيا الصغرى • ومن خلال التقييمات الأثرية ظهر أيضا ان جماعات من الآشوريين كنسوا يقطنون منطقة واسعة ، تقع الى الشرق من مدينة كول تبه ، مساحتها ٨٠٠ × ٤٠٠ م ، وهي أوسع مساحة من كول تبه نفسها التي تبلغ مساحتها ٥٥٠ × ٤٥٠ م • وهذه المنطقة من آسيا الصغرى كانت تعتبر سوقا تجارية كبيرة للآشوريين ومركزا لتسويق السلع الآشورية وغيرها لمدينة كول تبه وللمدن المجاورة الاخرى • وأطلق المنقب التركي T. Ozgüç اسم Kārim على هذا الموقع ، الذي اكتشفه بنفسه ، وأطلق

على شكل كتاب ضخم عام ١٩٦٤ في باريس^(٢) • وكذلك وضع بحثا عديدة تخص العلوم الآشورية ومنها كتابه « علم الآشوريات L'Assyriologie » اضافة الى بحوثه الاخرى في حقل الدراسات الآشورية ونشر مقالات عديدة في مجلة « الآشوريات » المعروفة التي تصدر في باريس^(٣) •

ويقوم كاريلي الآن بالتدريس في قسم التاريخ القديم في كلية السوربون • وقبل أن تعرض لكتاب كاريلي الجديد : « الشرق الادنى الآسيوي » اشير الى الخطوط العريضة لرسالته المنشورة « الآشوريون في كبدوكيا » نظرا لأهمية المعلومات التي وردت فيها اضافة الى قلة البحوث التي تخص مثل هذا الموضوع • لقد اعتمد كاريلي في اطروخته على أهمية الرقم الطينية الكثيرة جدا والتي اكتشفت في آسيا الصغرى حيث يذكر بأن « آسيا الصغرى أمدتنا بوثائق كتابية تثبت وجود الآشوريين ، ونشاطهم في منطقة كبدوكيا أكثر بكثير مما زودتنا به المدن الآشورية نفسها » ولا عجب في

(٤) تعرف كول تبه باسم كانيش أيضا وتقع الى الشمال الشرقي من مدينة قيصري التركية المعروفة وتبعد عنها بحوالي ٢٠ كم • ان رقما طينية مكتوبة بالمسمارية اكتشفت في هذه المدينة ، ساعدتنا كثيرا على معرفة تاريخ الآشوريين بتفصيل اكثر ، وذلك خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين • هذا اضافة الى رقمين اخرين ذات طابع وثائقي مهم جدا اكتشف في مواقع اخرى من آسيا الصغرى مثل بوغازكوي « حاتوشا » القديمة وهي عاصمة الحثيين واليشار • الخ •

(٢) Les Assyriens En Cappadoce. Paris, (٢) 1963.

وصدر هذا الكتاب في باريس عام ١٩٦٤ ويحتوي على معلومات مسلسلة وبشكل واضح وتخص الاكتشافات الاثرية التي جرت في عواصم الآشوريين شمال وادي الرافدين ، ويضم الكتاب كذلك فصلا عن الكتابات المسمارية ، وفصولا تخص طبيعة المجتمع الآشوري ، والفكر الخاص بالآشوريين ، وعلومهم الطبيعية الى غير ذلك من فصول الكتاب الاخرى المكتوبة بدقة وايجاز واتقان •

(٣) La Revue D'Assyriologie et D'Archeologie Orientale, Paris.

المسمى bit ālim ، حيث ترسم منه الخطوط المحددة لكل الشؤون المتعلقة بامور التجارة وملحقاتها ، ومنها تحديد سير القوافل المحملة من وادي الرافدين الى مدن آسيا الصغرى^(٥) وبالعكس وكذلك تخطيط أنظمة الرسوم والضرائب والصيرفة والديون •

ان ادارة المركز في آشور انيطت بيد أمير من امراء الدولة وتكون الارباح المستحصلة عادة للسلطة علماً بأن عدداً من التجار الكبار مارسوا أعمالهم الخاصة ضمن مراقبة وسلطة البيت المالي الرئيسي في مدينة آشور ، وهكذا نجد في النهاية ان البيت المالي هذا يشكل جزءاً من الفعاليات الرسمية للدولة ، وكل الفوائد والأرباح تعود أخيراً الى خزانة الدولة •

لقد استعانت السلطة الآشورية ، بموظفين من أعيان الأتراك أسمتهم « امراء » وذلك لادارة ما انيط بهم من مهام ثانوية لتسهيل تنفيذ برنامج البيت المالي الرئيسي في آشور ، وذكر ان بعض هؤلاء الموظفين من النساء وأطلق عليهن اسم « الاميرات » ، لقد انيطت بالامراء والاميرات مهمة الاشراف على توفير مواد التجارة، والاشراف على الزراعة ، وتربية الحيوانات ، وتوفير المواد الاولية اللازمة للصناعة الآشورية ، كالمعادن ، وحتى أمير كول تبه نفسه كان من هؤلاء الموظفين و التصل الثاني من كتاب كاريلي) •

ومما يرد ذكره ان المعبد في آشور يعتبر مركزاً مالياً لا يقل دوره عن دور البيوت المالية

على المركز الرئيسي للتجار الآشوريين تعبير bit Kārim الذي يرمز في الواقع الى معان متعددة ترتبط بالمراكز التجارية ومنها الاسواق ، بيوت المال ، البضاعة ، أرضفة الموانئ ، والموانئ نفسها • وفي كتاب كاريلي نجد فصلاً كاملاً حول مفهوم ال Kārim سواء من الناحية اللغوية أو ما يخص مجالات استعمال الكلمة (أنظر ص ١٧١-٢٠٤) من كتاب كاريلي • ويذكر المؤلف في هذا الفصل أيضاً عن احتمال كون السوق التجارية في بداية تكوينها واقعة خارج أسوار المدينة ، وبسبب من تطور أعمال هذه السوق صارت مركزاً تجارياً كبيراً ثم مدينة كبيرة أصبحت جزءاً متمماً لمدينة كول تبه « كانشس » علماً بأن مساحة المدينة الجديدة أكبر بكثير من

مدينة كول تبه القديمة كما أسلفنا ، ان أهم الأسباب التي أدت الى توسع هذه السوق التجارية هو دعم السلطة الآشورية لها ، حيث اعتبرت الموقع مصرفاً كبيراً تدار منه الامور المالية والصيرفية • لقد كان ل bit Kārim

الهيمنة الكاملة ، مثلاً ، على كل تجارة النحاس ، كما كان لهذا المركز صلاحية فرض الضرائب على كل صادراته (ص ١٨٤) • ولقد تعدى هذا البيت حدود أعماله التجارية من خلال ممارساته للقضايا القانونية والسياسية أيضاً (ص ٢٠٢) •

يبدو واضحاً ان أصل نشاط هذا البيت المالي منطلق من المركز الرئيسي في مدينة آشور نفسها ، ففي هذه العاصمة كان المركز الرئيسي

حيث تختم البضاعة هذه بالختم الآشوري لتسهيل بيعها في المدن التركية •

(٥) نعرف ان بعض المصدرين من تجارا الاكديين كانوا يرسلون بضائعهم خلال مدينة آشور ،

كاريلي لجانب مهم في اللغة الآشورية وهو جانب اللهجات ، وخاصة خلال فترة القرن التاسع عشر والعشرين ق.م تعتبر جزءا مكتملا لموضوع مهم من مواضيع علم الآشوريات .

أما كتاب كاريلي الجديد (الشرق الأدنى الآسيوي) الذي نشره عام ١٩٦٩ في باريس فانه يتضمن ثلاثة فصول رئيسية وكل منها يقسم بدوره الى فصول ثانوية ، تضم الاقسام جميعا نقاطا جديدة في تاريخ وادي الرافدين ، وتاريخ الحثيين في سوريا وفلسطين ، والعماليين الى جانب شعوب أخرى كالحوريين والكاشيين .

في مقدمة الكتاب يبحث كاريلي وبشكل مختصر علم الآشوريات والدراسات المكونة لهذا العلم ، وذلك من تحليل الكتابات المسماة الى طبيعة الآثار المكتشفة ، وأعمال العلماء من المقيمين الغربيين في المواقع الأثرية في وادي الرافدين . وفي نهاية مقدمته هذه يذكر ما ينوف على الخمسمائة مصدر مرتبة حسب المواضيع ويمكن الاستفادة منها للتوسع في البحوث الخاصة بحضارات الشرق الأدنى القديم اضافة الى التوسع في مواد الكتاب الذي نحن بصدده .

يتضمن الفصل الاول من القسم الثاني نشوء حضارة المدن والحدود الجغرافية للشرق الأدنى الآسيوي اذ يعتبر كاريلي أجزاءا من قارة افريقيا وأقسامها من آسيا ، وادي الرافدين ، تركيا ، منطقة الجزيرة ، والخليج العربي وبعض مواقع الجزيرة العربية وسوريا وفلسطين ضمن حدود الشرق الأدنى الآسيوي !!

وانه يتناول منطقة سوريا - فلسطين

الآشورية الرسمية في استغلال التبادل التجاري الحاصل بين المدن الآشورية والتركية ، وتذكر نصوص عديدة تسليف المعبد للتجار أموالا طائلة وتكون الفائدة على شكل هبة أو هدية يجب تقديمها الى الآلهة الآشورية ، كما ان أكثر البضائع تداولها بين المدن الآشورية والاناظولية كانت : المعادن الثمينة كالذهب والفضة ، ثم تنبي الأنسجة بأنواعها .

ان الفصل الاخير من رسالة كاريلي «الآشوريون في كبدوكيا» مكرس لطبيعة العلاقات السياسية بين الآشوريين والأتراك . فنعرف من خلاله سيطرة السلطة الآشورية بواسطة عملائها من التجار والامراء على كل حركة التجارة الخاصة بالمعادن ومنها القصدير والنحاس والمنتجات المتنوعة منها ، هذا اضافة الى تحكمهم بالسوق المالية ، حيث تذكر النصوص ان البيت المالي في آشور كان يزاول عملية قرض الاموال بفائدة كبيرة حتى بالنسبة للامراء الاناظوليين . ومن خلال طبيعة العلاقة المالية هذه نستطيع أن نفهم طبيعة العلاقات السياسية .

وأخيرا يختتم كاريلي فصول كتابه بخاتمة شاملة ، لا تقل أهمية عن مواد بحثه يعرض فيها طبيعة الاستعمار الآشوري المزدوجة . ويتطرق الى سيطرة الاكديين ، على تجارة وأسواق بعض المسدن في آسيا الصغرى ، بواسطة الآشوريين وذلك منذ عهد سرجون الأكدي .

ثم يوضح كاريلي القضايا المالية الخاصة بالديون والضرائب وطبيعة الاموال المقدمة كسلف وذلك على شكل جداول دقيقة جدا . وان معالجة

الشار وچتل خيوك • ويعود زمنهما الى حدود ٦٥٠٠ ق.م ، والموقع الاخير يتميز بوثائقه المهمة الغنية بالمعلومات المتنوعة ، لقد اكتشفت في الموقع رسوما جدارية تعود الى أحد المعابد ومن هذه الرسوم قرون لثيران ، واكتشفت أيضا في نفس المكان منحوتات تمثل رؤوس ثيران • كذلك عثر على رسوم جدارية تظهر أشخاصا خلال تقديمهم رقصة ذات طابع ديني ، وفي هذا المشهد مجموعة من الطبول والاقواس مما يشير الى ارتباط ذلك بمراسيم الصيد عندهم (٧) •

ينتقل كاريلي بفصول كتابه في منطقة كردستان والقسم الشمالي من الجزيرة فيذكر جرمو المعروفة كأول مستوطن حضاري في هذه المنطقة (٦٥٠٠ ق.م) ولملاحظة التطور الحضاري فيها يحدد كاريلي الالف السادس ق.م فترة لتحول الحضاري الكبير ، اذ تم في هذه الفترة انتقال الجماعات من سكان المناطق الجبلية والمستوطنات الاولى الى الاراضي السهلية فتطورت الزراعة بذلك ويأخذ موقع حسونة نموذجا لهذا التحول الكبير •

وفي منطقة جنوب وادي الرافدين يمثل موقع اريدو وحضارة اريدو المنطلق الاول من ناحية التطور الحضاري ، آخذا بعين الاعتبار التطور المعماري وتطور صناعة الفخار ، ثم تأتي مدينة الوركاء وحضارتها وتعتبر الوركاء من أكبر

كمنطلق أولي في نشوء الحضارة المتطورة ويؤكد ان اولى المستوطنات السكنية كانت في موقع اريحا ويعود تاريخها الى ٧٨٠٠ ± ٢٠٠ ق.م ويذكر ان هذا الموقع كان في حدود ٧٠٠٠ ق.م محاطا بسور يزيد ارتفاعه على ١٠ أمتار ويقدر تعداد سكان الموقع في هذه الفترة بحوالي الفئتي نسمة • ويوضح مخططات البيوت السكنية وشكل غرفها المستطيلة والمحيطة بساحة الدار • وبعد تدمير الموقع ومجيء جماعات من النطوفيين* في حدود ٦٠٠٠ ق.م تحول مخطط بناء البيت الى شكل دائري كما خصص السكان في الموقع مكانا لبناء المعبد • وقد تم العثور على دمي طينية تمثل أشكالاً حيوانية مختلفة وعثر كذلك في بعض البيوت على جماجم استخدمت لتكامل منحوتات طينية تمثل الاموات • ونلاحظ عدم ممارسة المجموعتين اللتين سكنتا هذا الموقع لصناعة الفخار ويعود ذلك الى طبيعة أفراد هاتين المجموعتين ، التي اتسمت بارتباطها بحياة الرعي وحالة نصف البداوة • ونحن نعرف أيضا بأن الفخار لم ينتج في مواقع الاردن الحضارية الا في حدود منتصف الالف السادس ق.م •

ثم ينتقل كاريلي الى نشوء الحضارة المتطورة في آسيا الصغرى وارتباطها بحضارة سوريا - فلسطين ويذكر مثلا صناعة المكروليتك (٦) • ان أهم المواقع الحضارية في آسيا الصغرى هي

ميلارت كتابا كاملا عن مكتشفات موقع چتل خيوك ضمنه صورا ملونة وأشكالا تخطيطية عندها ، والكتاب ضمن المؤلفات التي اخترت عرضها أيضا • James Mellaart: Catal Huyuk. London, 1967.

(*) النطوفيون نسبة الى سكان وادي النطوف شمال غربي القدس •

(٦) أي صناعة الاحجار الدقيقة •

(٧) لقد اصدر المنقب الانكليزي جيمس

للعالم السومري وهي : كتلة الملك والقصر ،
والكتلة العسكرية والمعد ، ثم يوضح عالم
الزراعة والمجتمع الزراعي ، وطبيعة التكوين
الاجتماعي ، وصراع المدن السومرية مع بعضها
والحوادث السياسية ، ثم عصر لكش وشخصية
اوركاجينا •

بعد ذلك يفصل الخطوط العريضة للحضارة
السومرية وما يتعلق بالقضايا الفكرية والفنون
التشكيلية • وفي الفصل الثالث من هذا القسم
يبحث كاريلي في السلالة الاكديّة وهجرات
الساميين ، وطبيعة الحكم العسكري التي يتصف
بها الحكم الاكدي • والتي نلمس تأثيراتها في
نتاجات فنونهم التشكيلية • ان التطور الفكري
الحاصل باستمرار ملموس اذ يجد له نماذج
عديدة في تطور القضايا والتنظيم الاقتصادي
فعرّف مثلاً ، نهاية الأكديين على أيدي الكوتيين
ثم تأتي بعدها فترة العصر الذهبي السومري ،
وظهور الآشوريين كقوة سياسية في القسم
الشمالي من وادي الرافدين •

وعندما نقرأ الفصل الرابع من القسم
الثاني نرى بحثاً في تراث مدينة اور وسلالة
اور الثالثة ، وشخصية مؤسسها اورنمو بن
اتوحيكال ووارث عرشه ، حيث طرد الكوتيين
الغزاة من وادي الرافدين وسجن زعيمهم تيركان
في مدينة الوركاء وذلك عام ٢١٢٠ ق م • بعد
تولي اورنمو الحكم نجده يتقل مركز الادارة من
الوركاء حيث يحكم والده الى اور ولكنه نفذ
الخطط العامة لسياسة والده ولقد نصب اورنمو
من نفسه فيما بعد ملكاً على سومر وأكد علماً بأن

المراكز الحضارية المعروفة ، ومنها انطلقت
التطورات الفكرية ، حيث اعتبرت من أهم المراكز
الدينية في المنطقة •

أما حضارة ايران ومنطقة السوس فاعتبرها
المؤلف جزءاً متمماً لحضارة وادي الرافدين ،
أما أقسام ايران الأخرى فتتميز بتطور حضاري
خاص مع وجود عناصر واضحة ، أثرت في
حضارة وادي الرافدين ، وتأثرت بها •

وانطلاقاً من تقسيم التسلسل الزمني هذا ،
يعود كاريلي نحو الغرب ، الى مناطق فلسطين
الحضارية في حدود ٤٠٠٠ ق م فيذكر وجود
جماعات جديدة في مستوطنات منها منطقة الغسول
الواقعة بالقرب من (اريحا) ويقارن صناعة
الفخار فيها بنفس الصناعة من تل حلف • ثم
نجد جماعات اخرى في أريحا نفسها وكذلك في
مجيدو وبيت شان وتل الفرخ وذلك في حدود
٣٠٠٠ ق م • وفي هذه المواقع يوضح لنسا
كاريلي تشابه طبقات الاحتمال الاسطوانية مع
طبقات أختام جمدة نصر •

ان حركة نقل وهجرة سريعتين حدثتا
بين كل هذه المناطق وضمن الحدود الجغرافية
المحدودة في مفهوم عنوان الكتاب ، حيث وجدت
علاقات تجارية بين هذه المناطق ، ويظهر المصريون
في خضم هذا الصراع الحضاري والتجاري
فلمس وجودهم حتى في طرابلس (لبنان) منذ
نهاية السلالة الثانية في حدود منتصف الالف
الثالث ق م •

أما الفصل الثاني من القسم الثاني من
الكتاب فيبحث بالتفصيل الزعامات المسيطرة والمكونة

النصوص الوثائقية التي وردتنا من عهده لا تحدد سيطرته الا على مدن سومرية فقط مثل نيور « نفر » ، لكش ، الوركاء ، اور ، اريدو .

ولما لعهد هذا الملك السومري من أهمية خاصة تتعلق بالتنظيم الجديد الذي أحدثه في مختلف شؤون الادارة ، فان كاريلي يوضح سيطرة الدولة على الموارد الرئيسية المكونة للاقتصاد السومري ، من ذلك سيطرتها على المساحات الواسعة من الاراضي الزراعية ، وايجادها شكلا من أشكال التنظيم الزراعي لهذه الاراضي ، ومما يعزز ذلك عدم العثور على أية وثيقة أو عقد مبرم يثبت حدوث بيع لهذه الاراضي .

وفي حقل الصناعة نجد السلطة أيضا متمركزة في يدها الهيمنة على غالبية قطاعاته ، ما عدا صناعات قليلة جدا ، مع عدم تنظيمها لهذا الحقل بشكل متكامل ومنسجم (ص ١٠٢) وهذا التبديل في حقل الزراعة والصناعة يستلزم تبديلا هاما في نطاق العلاقات الاجتماعية ، واننا لا نجد في هذه الفترة « سلالة اور الثالثة » طبقة واضحة كعبيد مملوكين بينما وجدنا أشخاصا اسمهم « المساكين » ويتكون هؤلاء من الافراد العاملين في خدمة القصور والمعابد وبعض العاملين بالخدمة العسكرية . بينما تميز في الفترة السابقة طبقة من العبيد ، وأما العبيد في هذه الفترة فهم قلة ولا يكونون طبقة عبيد بكل معنى الكلمة ، وكان هؤلاء من اسرى الحرب بالدرجة الرئيسية .

ان اختلال القوى في منطقة وادي الرافدين وآسيا الصغرى وتقلب الوضع السياسي فيها خلال هذه الفترة وما صاحب ذلك من ابرام عقود تحالف بين الحثيين وبعض القوى الخارجية ، ولد كل هذا تغيرات رئيسية في حالة الشرق الادنى القديم كان منها ، اضافة الى التغيرات

وضمن هذه الفترة يعود الفضل الى البحث الجيد الذي أنجزه العالم الفلكي كلود البطليموسي^(١٠) فقد رتب قائمة بأسماء ملوك الفرس والبابليين منذ عهد نبوخذنصر حتى الاسكندر واستطاع هذا أيضا تتبع فترة حكم الملوك المدونين في قائمته ولقد أمكن التأكد من صحة بحثه هذا فيما بعد .

يشرح كاريلي أيضا التسلسل الزمني الخاص للآشوريين ويبحث في علاقة التقييم الزمني هذا بالحوادث وبحكم الملوك في الاقاليم المجاورة .

ويحتوي الفصل الثاني من القسم الثالث نوعية السكان من الناحية الجغرافية والتكوين الجسمي كذلك يبحث المشكلة المتعلقة حتى اليوم ، والمتعلقة بأصل السومريين ومجيئهم الى وادي الرافدين ، وفي تفصيل نوعية العلاقات الاجتماعية يتناول كاريلي طبيعة النظام السياسي ، وطبيعة الانتاج الجماعي في فترة بداية التجمعات السكنية في الشرق الادنى كأساس لذلك . وانطلاقا من طبيعة المجتمع الزراعي السائدة في غالبية حضارات هذه المنطقة بين كاريلي بشكل خاص ما يعرف بالديمقراطية البدائية في المجتمع السومري ، انه يستند في بحثه لهذا الموضوع على الانجاز الرائع الذي حققه جاكسون^(١١) في هذا المجال ، لقد أظهر جاكسون طبيعة هذه الديمقراطية ، وهي غير الديمقراطية الكلاسيكية

السياسية ، تغيرات حضارية وفكرية ومنها انتقال عناصر جديدة فرضتها روح التأثر والتأثير الحاصلتين نتيجة انتقال الجماعات الغازية والمغزوة واختلاط شعوب مختلفة البيئة كل هذا يشكل محتوى الفصل السابع من القسم الثاني . أما نتائج الوضع الجديد هذا وسيطرة الغزاة على وادي الرافدين فهو محتوى الفصل الثامن من نفس القسم .

أما القسم الثالث والآخر من الكتاب فيضم بحثا خاصا بالتسلسل التاريخي Chronologie ويذكر وجود ثلاث طرق رئيسية حتى اليوم تهتم ببحوث تسلسل التاريخ والحوادث التاريخية في وادي الرافدين ، علما بأن لكل طريقة من هذه الطرق أنصارا لهم حجج مادية وثائقية ويستلزم على الباحث الاطلاع على هذه الطرق الثلاث ، على الرغم من وجود ثغرات معروفة ضمن كل تسلسل زمني ، وما يجدر ذكره بأن تسلسل الحوادث هو أكثر وضوحاً منذ اهداء السومريين الى التدوين في حدود بداية الالف الرابع ق.م وحتى القرن الخامس عشر ق.م ، وتتوفر مصادر غزيرة عن حوادث بلاد وادي الرافدين بصورة خاصة انطلاقا من الالف الثالث ق.م . ومن الفترات التي يسهل تتبعها ضمن تسلسل الحوادث في وادي الرافدين هو تاريخ السلوقيين في بابل وذلك ابتداء من شهر نيسان عام ٣١١ ق.م^(٩) وحتى عام ٧٤٧ م ،

شمال مصر وتوفي خلال القرن الثاني للميلاد .
T. Jacobsen: Early Political Development in Mesopotamia, ZA, 52 (1957) 91-140.

R. A. Parker et W. H. Pubberstein (٩) Babylonian chronology 612 B.C. - 45 A.D. Chicago, 2 éd. 1946, 18-19.

(١٠) عالم مصري من أصل اغريقي ولد في

ومن مدينة ماري « تل الحريري » يعرفنا المؤلف على نظم ادارية خاصة ، هي في مجموعها ليست غريبة عن النظم الموجودة في وادي الرافدين ، فمن الالقاب والوظائف المعروفة في تنظيم العلاقات العسكرية في ماري :-

ugula-martu تعني لقب جنرال في الجيش وتحت امرته أتباع يسمون PA. PA ويرأس هؤلاء بدورهم جماعة ال Laputtû واسمهم في السومرية nu-banda ، واللفظة الاكديّة تسمى الجنود rêdûm وهم في السومرية aga-ush .

أما الفصل الرابع من القسم الثالث فيبحث في الاسعار والاجور ومستوى المعيشة في وادي الرافدين ، ونجد بأن مستوى الاجور يقابل وزنا معيناً من الذهب أو الفضة ، ويوضح كاريلي ما يمكن شراؤه بكمية معينة من الفضة من مواد عينية كالحبوب والاصواف والزيتون وحتى العبيد^(١٢) .

وبعد تقديم فصول كتاب كاريلي ملخصة أقول بأنه يعتبر في الواقع موسوعة مصغرة لحضارات وادي الرافدين ، وآسيا الصغرى والحثين وسوريا وفلسطين علماً بأن كاريلي لم يتناول حضارات عديدة اخرى بشكل تفصيلي ولكنه يعطي صورة جيدة عنها خلال علاقاتها بالحضارات المبحوثة بتفصيل نسبي وبصورة خاصة حضارة وادي الرافدين .

ان كتاب كاريلي لم يكن مجرد عرض

المعروفة ، بل انها ديمقراطية من نوع يلائم المجتمع السومري وطبيعته (انظر كاريلي ص ٢٤٨) .

يبحث كاريلي بعد ذلك عالم الفكر الديني واصالة وأهمية تقديس الخصوبة في المجتمعات البدائية ، كذلك طبيعة ومفهوم الميل نحو هذا النوع من التقديس وارتباطه بطبيعة الحياة الزراعية التي عاشتها هذه المجموعات البشرية ككل في بداية تكوينها للحضارة .

أما الفصل الثالث من القسم الثالث فيتضمن بحثاً جديداً مشبعاً بالماذج من المصادر الوثائقية، ان البحث مهم رغم البحوث المختصرة التي سبقته، زماً ولكنها تهب الموضوع تكاملاً مطلوباً . انه بحث خاص بالكوادر اللازمة لتكوين أشكال الحكومات في الشرق الادنى القديم ، ويفصل ذلك في وادي الرافدين بشكل وافٍ . ومن الدرجات الوظيفية الخاصة بكوادر المعابد ، يرصد كاريلي في عصر سلالة اور الثالثة مسؤول المعبد العام وهو Sanga ، ومسؤول الامور الاقتصادية فيه الذي يحمل لقب Shabra ومسؤول الاراضي التابعة للمعبد Sa₁₂ - du₈ ومسؤول مخزن الحبوب Ka-guru₇ . وهناك ألقاب عديدة اخرى توضح تدرج الوظائف ، وطبيعة النظام الهرمي في المسؤولية . ويميز كاريلي اختلافات واضحة في أنظمة الآشوريين الادارية والوظيفية عما هو معروف في بقية أقسام وادي الرافدين .

مقارنة من ايران ، ومن الاقسام الشمالية من الجزيرة العربية ، وهناك احتمال مجيء جماعات مهاجرة اخرى من الهند . انا نلاحظ بعين الاعتبار هجرات الساميين الى وادي الرافدين في الفترات اللاحقة لهجرة السومريين ، ونلاحظ أيضا طبيعة المناطق التي هاجرت منها هذه الجماعات والطرق التي سلكتها ، اضافة الى المقارنة ودراسة آثار هذه الاقاليم ككل ، وهكذا فأنا أميل الى القول بحدوث هجرات من مناطق مختلفة الى جنوب وادي الرافدين ، وكونت هذه الهجرات مجموعة سكنية ذات حضارة متجانسة ، أملت لها الظروف البيئية ودام ذلك طوال فترة الألف الخامس ق.م . ان الدراسات الانثروبولوجية لبقايا جماجم السومريين لا تؤيد أبدا كونهم من أصل جنس واحد .

ومن المواضيع الجديدة في كتاب كاريلي بحثه العلمي الدقيق الخاص بالنظم الادارية ، وخلال دراسته استطاع تمييز الالقاب الوظيفية سواء في عالم القصر أو المعبد أو الجيش وحتى بالنسبة للحرفيين والعمال ، وترتبط النظم الادارية عند الآشوريين ، بطبيعة الحياة العسكرية التي طفت على فترة طويلة من وجودهم كقوة سياسية . ويميل كاريلي ، بمناسبة ذكر الالقاب في وادي الرافدين ، بأن تسمية lugal السومرية تعني الرجل الكبير الذي يستلزم أن يكون من نسل النبلاء ، وهو بشكل عام من رجال الاقطاعات الكبيرة ، ويتمتع بجماهيرية واسعة ويتقلد الفرد السومري هذا اللقب لفترة مؤقتة

للحوادث ومتابعة تطور الخط الحضاري لكل من هذه الاقاليم ، بل اتبع التسلسل الزمني فيها ، وانتفى الحوادث الرئيسية وأضاف حوادث اخرى استقاها من قراءاته للكتابات المسمارية غير المنشورة بعد ، كذلك اعتمد كاريلي على الشواهد المادية من الآثار المكتشفة في هذه المناطق وربطها بالوثائق المكتوبة مكونا بذلك حججا علمية معززة بروحية النقد العلمي ، وآرائه الجديدة التي تلمسها في مواضع عديدة من بحثه .

ان رأيه في أصل السومريين لا يلقي ضوءا جديدا بقدر ما نلمس من تدقيق وتأكد على وجودهم في فترات زمنية حساسة ، فيقول مثلا انهم كانوا في القسم الجنوبي من وادي الرافدين في بداية التاريخ ، وهم الذين اهتموا الى التدوين والكتابة ، وهم بناء حضارة الوركاء ، ويبرز كاريلي الفجوة التاريخية غير المنسجمة مع التسلسل الحضاري في الطبقات ١٤ - ١٦ في الوركاء (ص ٢٤٤) ويقارن هذه الفجوة في التسلسل الحضاري مع الفجوات المشابهة في ايران والهند ويميل كاريلي بذلك الى حدوث هجرة من الاقليمين الاخيرين نحو الخارج ، فهل كانت هذه الهجرة باتجاه القسم الجنوبي من وادي الرافدين ؟ وأنا أميل الى الاعتقاد باحتمال نزوح جماعات من سكنة قرى شمال العراق الى القسم الجنوبي من وادي الرافدين ، وعلى دفعات متفاوتة استمرت طوال الألف الخامس ق.م وهناك وثائق عديدة تعزز منطقية هذا الرأي ، منها الآثارية والطبيعة الجغرافية ، هذا الى احتمال مجيء جماعات اخرى في فترة

ومحدودة تسمى bala وتقران بما نسميها الرئيسية ، فقد احتوى أحد الجداول الخاص اليوم « حالة الطوارئ » •
 ان معالجة كاريلي المهمة لموضوع آخسر
 يتعلق بالقضايا الاقتصادية وتفصيلها الدقيقة ،
 يعتبر بدوره موضوعا نادرا ، لم يبحث بشكل
 تفصيلي ، فمشكلة الاسعار والاجور وارتباطهما
 بمستوى المعيشة ، موضوع نحن بحاجة الى
 استيعابه لعلاقته الوثيقة بفهمنا للجوانب الحضارية
 الاخرى في وادي الرافدين بصورة خاصة ،
 وتتركز علمية الموضوع كذلك في المقارنة
 الخاصة بالاسعار المعروفة خارج وادي الرافدين،
 في آسيا الصغرى مثلا •
 وهناك تفصيلات علمية مهمة تحويها
 الجداول المنجزة لسكل قسم من أقسام الكتاب
 الاخرى ويقع هذا الفهرس في تسع عشرة صفحة •
 وينهي كاريلي كتابه بفهرس يضم أسماء
 الاعلام والأمكنة باللغات السامرية واللغات
 اور الثالثة ، وفي عهد حمورابي نجده يبذل
 جهدا واسعا ضد ظاهرة ارتفاع الاسعار والتي
 بلغت أزمته خلال القرن السابع عشر ق.م •

James Mellaart: Catal Hüyük, A Neolithic
 Town in Anatolia.
 Thames and Hudson London, 1967.

15 colour plates,
 121 monochrome plates,
 56 Line drawings.

كتاب ميلارت هذا يتعلق بموضوع مهم
 خاص بعلم الآثار في منطقة الشرق الأدنى
 القديم - آسيا الصغرى - ونعرف ان ميلارت
 ساهم بالتنقيب في مواقع أثرية عديدة في آسيا
 الصغرى اذ كان من أعضاء البعثة الأثرية
 البريطانية التي نقت في مواقع تلك المنطقة ،
 لحساب المعهد الأثري البريطاني في انقرة • ان
 مساهمة ميلارت بالتنقيب ضمن بعثات عديدة في
 مواقع آسيا الصغرى قد ساعدته على اكتساب
 خبرة ممتازة منذ أوائل الخمسينات • ساهم
 ميلارت أيضا بتدريس موضوع الآثار الأناضولية
 في جامعة لندن عام ١٩٦٤ • وله مؤلفات عديدة
 تخص علم الآثار • وأهمية كتاب ميلارت هذا
 تأتي بسبب تناوله أكثر المواقع أهمية في آسيا
 الصغرى وهو موقع جتل خيوك ، انه الموقع
 الأكثر ارتباطا من الناحية الحضارية بمواقع
 الحضارات المجاورة وخاصة حضارة قرى شمال
 العراق ، في الفترة المحصورة بين الألف السابع

والالف السادس ق٠م٠ • ان ثقتنا بالمضامين في بداية الكتاب تحوي تفاصيل اللقى الأثرية العلمية لكتاب ميلارت تأتي أيضا من كونه قد ترأس فعلا هيئة التنقيب في هذا الموقع ولعدة مواسم •

ان طيبة الآثار المكتشفة هذه والتي ترجع الى بداية الالف السابع ق٠م تظهر لنا ان سكان الموقع قد مارسوا فعاليات « حضارية » بشكل غير منسجم مع هذا القدم الزمني ، انا نجد ما تركه الانسان في هذا الموقع من رسوم جدارية ومنحوتات بارزة بمستوى تكتيكي متطور لأعمال الحرف والصناعات اليدوية كأشغال النسيج والخشب والمعادن هذا اضافة الى المستوى الفكري المتطور والملموس في مظاهر الديانة ، كذلك نجد ان الانسان بلغ مستوى جيدا في تطوير البناء وتخطيط المدن اضافة الى تطويره عالمه قبل اهتدائها الى التدوين والكتابة وربما قبل

استقرار الانسان وتعلمه الزراعة وتدجين الحيوانات • ان مواد كتاب ميلارت مقسمة الى تسعة أبواب اضافة الى المقدمة وفيها يؤكد أهمية الموقع

الاستراتيجية والتاريخية ويحدد الموقع الكائن في الجنوب الشرقي من مدينة قونه بمسافة تزيد قليلا على الخمسين كيلومترا ، كذلك يوضح ظروف البيئة المشجعة والتي ساهمت في دفع سكان المنطقة الى الاستقرار في جتل خيوك بالذات •

ان الجماعات التي استقرت في مراكز سكنية في الشرقيين القديمين الأدنى والوسط ، بعد فترة العصر الحجري الحديث الأعلى ، وخلال فترة ما قبل العصر الحجري الحديث كانت تعيش على الصيد وتمارس حياة الرعي وحياة عدم الاستقرار ، ونعرف أيضا محاولات

ان اكتشاف آثار موقع جتل خيوك يعكس أهمية بالغة وذلك لأن هذه المكتشفات أثبتت استقرار الانسان وتكوينه لحياة مدنية في حدود الالف السابع ق٠م تؤكد أهمية آثار جتل خيوك ، الحياة والعلاقات الاجتماعية في مواقع اخرى من الشرق الأدنى القديم تعود الى أزمة أحدث من هذا الموقع • ان ندرة المكتشفات الأثرية من الالف السابع ق٠م تؤكد أهمية آثار جتل خيوك ، وهذا ما يؤكد مؤلف الكتاب ، كذلك يشيد بعلاقة المكتشفات بالفنون التشكيلية وتطورها في هذه الفترة •

ان مضامين مؤلف ميلارت وكما يوجزها

ارتفاع يقدر بحوالي ثلاثة آلاف قدم عن مستوى سطح البحر • ولقد اختار السكان هذا الموقع لقرب وجود المياه اذ يوجد فرع لنهر صغير يبعد عن قرية كوچكوي بمسافة كيلومترين تقريبا • ان مواقع اخرى مهمة أيضا من الناحية الأثرية تقع في سهل قونيه الواسع • أما تاريخ التنقيب في موقع جتل خيوك نفسه فقد بدأ في الواقع بشكل غير علمي عام ١٩٥٨ ، فقد وجد المؤلف ، وعضو البعثة الأثرية البريطانية في آسيا الصغرى ، بقايا قطع وأدوات مصنوعة من الحجر الأوبسيدي وبقايا عظام مختلفة ، أما التنقيب العلمي والفعلي فلم يبدأ الا عام ١٩٦١ وامتد ثلاثة مواسم حتى عام ١٩٦٣ • والموقع الرئيسي لمدينة جتل خيوك عبارة عن تل يقع الى الجانب الشرقي وهو بيضوي الشكل وذو مساحة واسعة ٤٥٠ × ٢٧٥ م • ان آثار الموقع المثلة للمصر الحجري الحديث ترتب في سمك يزيد على التسعة عشر مترا ، وهذه ضعف سمك الطبقات التي نجدها في موقع مرسن لنفس الفترة ، أو ثلثي السمك في اريحا (١٣٧م) ، ان سبب ديمومة هذه الطبقات على حالتها تقريبا يعود الى جدران البيوت المرتفعة والتي ساهمت في المحافظة على محتوياتها لفترة طويلة (يزيد ارتفاع جدران البيوت على المترين أحيانا) •

والقسم الثالث من الكتاب يوضح ، بشكل مادي ، ارتباط سكان جتل خيوك بالموقع نتيجة للظروف الملائمة جدا ويعزز ارتباطهم هذا اعتنائهم بالمواد الأولية اللازمة للبناء ، كذلك اهتمامهم بمساكنهم وصيانتها باستمرار ،

الانسان الاولى لتعلم الزراعة واستئناس الحيوان من الناحية التاريخية بشكل تقريبي ، فقد نجحت مؤلا محاولات استئناس الحيوان في منطقة زاوي چمي « قرب شانيدار في شمال العراق » في حدود ٨٩٠٠ ق.م كذلك عرف الانسان دفن موته في هذه الفترة وربما تشكل بقايا انسان كهف شانيدار جزءاً من مقبرة خاصة للتجمع السكني في زاوي چمي • اننا نعرف أيضا استمرار الانسان في صناعته المعروفة بالصناعة الميكروليتيكية للادوات الحجرية خلال الالف الثامن ق.م مع استغلاله العظام في صناعة بعض من أدواته ، وعرف الانسان الاستفادة من بعض الاحجار الثمينة والنادرة في صناعاته ، مثل الحجر الأوبسيدي ، أو الحجر الزجاجي البركاني الاسود ، الذي انتشر في مناطق عديدة من الشرق القديم ، ومصدره القسم الجنوبي والشرقي من آسيا الصغرى • كذلك تنتشر مواقع جديدة لسكنى الجماعات البشرية الأكثر استقرارا وذلك خلال الالف السابع ق.م سواء في آسيا الصغرى نفسها أو في سوريا - فلسطين • ان ابعاد أهمية مكتشفات موقع جتل خيوك تتوضح أيضا خلال نماذج اللقى التي تمثل من الناحية الفنية مرحلة الاسلوب الطبيعي ، والاسلوب الهندسي خلال فترة الباليوليثيك العليا وبداية المحاولات الاولى في صناعة الفخار الملون والدمى الطينية وغيرها المثلة لأشكال آدمية وحيوانية في فترة الكالكوليثيك القديمة Chalcolithic في منطقة الشرق الادنى • والموقع الاثري لجتل خيوك يقع على

واستخدام الطلاء Plaster مرات عديدة من الداخل والخارج ، حتى تصل طلاءات بيوت

بعض الطبقات الى مائة وعشرين طلاء ، كما هو الحال في بيوت الطبقة السابعة ، وهذا يعني ان بناء البيوت في هذه الطبقة استمر مائة وعشرين عاما ، اذا افترضنا ان تجديد الطلاء كان سنويا .

لقد هجر سكان چتل خيوك موقعهم الى مكان آخر على جهة النهر المقابلة ، وأسباب هذا الحديث لا زالت مجهولة ، ولكن استخدام طريقة C_{14} وطرقها المحسنة ، أظهرت ان

الهجرة حدثت بعد عام ٥٦٠٠ ق.م . واستمرت السكنى في الموقع الجديد الذي أطلق عليه علماء الآثار اسم چتل خيوك الغربي قرابة ٧٠٠ عام .

يتناول القسم الرابع من كتاب ميلارت موضوعا مهماً في علم الآثار وهو الموضوع الخاص بالقضايا المعمارية ويميز ميلارت بتجربته الواسعة في هذا المجال الطبقات (٢ - ٧) لاحتوائها على مخططات بنائية متشابهة تقريبا ويفصل المؤلف مخططات المدينة ومخطط البيت الواحد ، وهو بشكل عام مستطيل الشكل ذو خطوط خارجية

مستقيمة ولقد تفنن البناؤون في تخطيط البيت استنادا على تجارب من بيوت أقدم زمنا في نفس الموقع . فقد اخذ بنظر الاعتبار مثلا توفير الضوء الطبيعي لداخل البيت وتسهيل الانتقال من بيت لآخر ، ومن جميع البيوت لخارج المدينة .

كذلك أكد البناؤون على استمرار الساحة الوسطية المفتوحة في وسط الدار لفوائدها المتعددة من الناحية الصحية فقط ، أي انهم لم

يستعملوا هذه الساحة لايواء الحيوانات أو لدفن الموتى .

ان عدم العثور على بوابات لهذه الدور ، كان في الواقع متعمدا من قبل سكان الموقع ، وذلك لأسباب وقائية ضد هجمات الاعداء وللدفاع بنفس الوقت ، أما مدخل هذه البيوت فكان من أقسامها العلوية خلال السقف علما بوجود مخططات مشابهة لمثل هذا المخطط في مناطق عديدة من آسيا الصغرى الشرقية وايران وشمال سوريا .

لقد حصن أهالي چتل خيوك كل مدينتهم بنفس الوقت وذلك ببناء بيوت خارجية متلاصقة ، ومستودعات ذات مداخل سقفية فقط وفي حالة اقتحام العدو لهذا الخط الدفاعي يجابه بخط دفاعي آخر يتكون من بيوت صلدة ذات سقوف أيضا ، يدافع منها أهل المدينة ضد الهجمات . ان مجموع بيوت السكنى لعشرة طبقات في موقع چتل خيوك تصل الى مائة وثلاثة بيوت مع ثلاثة وستين معبدا (أنظر الجدول في كتاب ميلارت ص ٨٠) .

ويذكر المؤلف المواد الاولية المستخدمة في البناء وهي مكونة من اللبن المجفف بالشمس ، وكذلك القصب ، ولم يُستخدم الطوف في البناء ، وبشكل عام تقريبا استخدم الطلاء في البيوت . أما أبعاد اللبن المستخدم في موقع چتل خيوك فانها تختلف حسب الطبقات وقد استخدمت للتقوية مساند خشبية في مواقع مختلفة ، إضافة الى بناء بيوت من الخشب المستورد من مناطق طوروس المجاورة لسهول قونية .

- وتتميز من أبنية موقع چتل خيوك ، المعابد بشكل خاص ، فانها زينة الجدران بالألوان كذلك هو الحال بالنسبة لجدران بيوت موقع حاجيلار .» في آسيا الصغرى أيضا « الذي يرجع الى حدود الالف السابع ق.م . واستمر الأخذ بهذه الزينة في غالبية طبقات موقع چتل خيوك بالذات الى حدود ٥٧٠٠ ق.م . أما المنحوتات البارزة التي تزين جدران المعابد فانها تضم ، بصورة خاصة ، أشكالاً لرؤوس حيوانات بأشكال بسيطة منذ ٦٥٠٠ ق.م وأحيانا كانت تعالج هذه الرؤوس وتضاف اليها بعد ذلك القرون والعيون وقد وجدت في الطبقة السابعة ، ٦٢٠٠ ق.م اولى النماذج المنحوتة التي تمثل الالهة الام على أشكال مفردة ، وان بعض هذه النماذج المثلثة لنساء برؤوس حيوانية ، مثل رأس الخنزير ، وجدت مزينة لجدار أحد المعابد في الطبقة السابعة .
- أما القسم الرابع من كتاب ميلارت فيبحث في موضوع الالوان المستخدمة في الرسوم الجدارية لأبنية المعابد كذلك يبحث في مصادر هذه الالوان وأنواعها ، ويذكر ان غالبيتها كانت من مصادر معدنية مثل اوكسيدات الحديد والنحاس التي تعطي ألوانا متعددة بأطياف متفاوتة ، وربما كانت مساحيق هذه الالوان تخلط بشحوم الحيوانات، والزيتون النباتية وزلال البيض ، وذلك قبل استخدامها . ان هذه الالوان كانت تنفذ مباشرة أي بدون تخطيط سابق لها .
- لقد امكن تقسيم اشكال الرسوم الموجودة على جدران معابد موقع چتل خيوك الى ستة أقسام :-
- ١ - طبقات من الطلاء ذات اللون الاحمر ومشتقاته بدون رسم لعناصر زخرفية .
 - ٢ - حقول على شكل شرائط بلون واحد أو بعدة ألوان مزينة بوحدات هندسية .
 - ٣ - حقول بألوان ، مزينة برسوم رمزية : نجوم زهرات محورة ، دوائر .
 - ٤ - رسوم هندسية وطبيعية وأشكال لأكف آدمية .
 - ٥ - رسوم طبيعية أخرى : آلهة ، أشكال بشرية ، وحيوانية وثيران ونمور وغزلان وطيور .
 - ٦ - رسوم تمثل أشكالاً لابنية سكنية .
- (ص ٨١) .
- والى جانب الرسوم الجدارية والمنحوتات البارزة وجدت في موقع چتل خيوك منحوتات مدورة عديدة مصنوعة غالبا من الحجر الصلد . ان توفر العديد من هذه النماذج في معابد الموقع يوضح لنا ممارسة عبادتها من قبل السكان علماً بانها تمثل في الغالب الالهة الأم معالجة بتحويلات بسيطة وتوجد نماذج من منحوتات مدورة تمثل رجالاً ويراد بهذه المجموعة ان تعبر وترمز الى الخصب بالدرجة الرئيسة .
- بهذه الخطوط العريضة يبدو لنا كتاب ميلارت ، وهو يوضح النقاط والمواضيع التي تخص عالم العصر الحجري الحديث في القسم الجنوبي من آسيا الصغرى ، وانها ترتبط مباشرة بالتسلسل الحضاري لمواضع أخرى احدث زماً في مناطق

بمجموعه يقرب من أشكال التجريد المعاصر كثيرا ونجد هذا الشيء أيضا في العديد من رسوم الكهوف في جنوب غرب اوربا . لقد كانت هذه الرسوم خير ملهم للفنانين الاوربيين بصورة خاصة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين ، ويقول اندريه مامرو الناقد الفرنسي : اننا لا نتخلى أبدا عن ملاحظة هذه الرسوم .

ولم نجد بين محاولات ميلارت في ربط الاشكال والحوادث من خلال المكتشفات الاثرية ، تفسيرات لمفاهيم الألوان في هذه الفترة خاصة ونحن نلاحظ تركيزا على استخدام اللون الاحمر واطيفه بكثرة وان هذا اللون وسهولة استخراجه من الطبيعة يرمز لمفاهيم عديدة أخذت شعوب حضارات عديدة بمعظمها ومنها علاقة هذا اللون بالموت والقوة والثأر والنسل النبيل . وفي هذه الفترات اللاحقة للعصر الحجري الحديث وانطلاقا من فترة التدوين والعصور التاريخية امكنا معرفة تفاصيل مهمة خاصة تمثل هذه المواضيع وعلاقتها بالفكر الديني والتقاليد والحياة اليومية .

اما غزارة تنفيذ أشكال الثيران بنحوت بارزة ومنذ اقدم فترات الموقع فتعود الى شيوع تقديس الانسان لهذا الحيوان في معظم حضاراته في العالم ، وارتباط الثور بالانسان واضح فخلال خوفه منه في مرحلة الصيد واختبار قوته الخارقة في المراحل اللاحقة ودوره في عملية الاخصاب والنسل كل ذلك دفع الانسان الى تجسيد هذا الحيوان بمفهوم مقدس وأصبح فيما بعد رمزا للالهة العظيمة القوية مثل مردوخ وغيره . اما

الشرق الادنى والاوسط النديمين .
ان غزارة البقايا البنائية ومخططات البيوت العامة والمقدسة تلقي اضواء مهمة على جانب حضاري مهم في هذه الفترة اضافة الى الجانب الفني التشكيلي المتمركز بشكل بيت ومكملاته الاخرى . ان بداية اقدم زما تتعلق بتاريخ فن العمارة اجازتها لنا مكشفات جتل خيوك بالذات وتبدو مكملات الفن الترابطية متطورة جدا فالرسوم الجدارية وقوتها في التعبير تستوجب مراسا طويلا في الصنعة فالخطوط الخارجية رغم دقتها المتناهية تتوضح بحركات حساسة ودقيقة ، هذا اضافة الى استخدام الفنان للالوان بصورة مباشرة في كثير من الاحيان، وان أشكال الحيوانات بحركاتها المتنوعة وروحية التجريد السائد في العا بد من مواضعها بالاضافة الى هيئات الاشخاص من الصيادين وحركتهم تذكرنا بصورة مباشرة برسوم الكهوف في جنوب غرب اوربا ، ان عالم ومناخ الصيد الذي عاشته المجموعتان رغم الفارق الزمني الكبير يوضح الكثير من شواهد هذه الرسوم .

ان تكرار رسم الأكلف البشرية في جتل خيوك ورسوم الكهوف في جنوب غرب اوربا يدل على مفهوم التملك وتأکید الحيازة المكانية والمقدرة اضافة الى المفاهيم الأخرى المتعلقة بدون شك بالسحر بصورة مباشرة قبل الدين .

ان مواضيع التحويرات للوحدات الزخرفية التي عثر عليها مزينة جدران أحد معابد الطبقة السادسة من موقع جتل خيوك تظهر تجريدا صارخا لهذه الوحدات ومنها الانسان . فالشكل

لكتل الشكل المتباين ذات انسيابية وانسجام مقنعين وظاهرين (أنظر الاشكال ٤٩ - ٥٣ ، ص ١٨٢ - ١٨٤) •

ان اشكالا أخرى من نماذج المنحوتات المدورة تظهر لنا تجريدا أعمق بصورة يصعب معها تمييز الاشكال بدون تقمص ذكي ، ولقد حددت خطوط الكتلة الصخرية الخارجية ضربات قليلة كونت للاشكال ابعادا بدئية ، وبما انها اشكال لمبشرين مقدسين ففيهما طابع الغرابة الذي يستجلب الغموض والخوف النسبي وهذا من مستلزمات عالم السحر وبداية مفاهيم الدين وبرامجه وخطه الرهيبة في العصور التاريخية (أنظر الاشكال : ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٠) •

تففيذ أشكال الثور فانها لم تسلم من التجريد والتحويل بصورة يبعد شكله الطبيعي بنسب متفاوتة في العصور التاريخية • والنماذج المصغرة للاشكال الأدمية والحيوانية والمنفذة بأسلوب النحت المدور تشدنا بروعتها وتسجم مع جودة وقوة الرسوم والمنحوتات البارزة وتفوقها في نقاط عديدة • فهي رغم صغر حجمها وصلابة موادها الاولية استطاع الفنان النحات الانضولي ان يظهر أجزاء الجسم بصورة تعبيرية متينة بدون طمس لتكامل الشكل • لقد اظهر الفنان ضخامة بارزة لاجزاء الجسم الاثوية في نماذج الالهة الام وهذا دلالة على الخصوبة ، وحركات الايدي تدل على روحية التعبد والقدسية ونرى الخطوط الخارجية

Prof. René Labat: Un calendrier Babylonien des travaux des signes et des mois. (Séries iqur ipush).

Ouvrage publié avec le concours du

ien des travaux des signes et des mois.

C.N.R.S. Paris. 1965.

قراءات اصيلة لمجموعات كبيرة من الرقم الطينية وله مؤلفات عديدة عن الاساطير القديمة كأسطورة الخليقة البابلية واصول تكوين الارض ومن اشهر كسبه المعروفة في العالم القاموس^(١٣) الذي يضم المفردات السومرية وتطورها من الشكل الصوري والرمزي حتى الفترة الاخيرة من العصر الآشوري وانبابلي ، ويعتبر من أهم الموسوعات الرئيسية وأهم المصادر لكل بحث أصيل خاص باللغات المسمارية أو العلوم الاثرية •

البروفيسور رينه لابات عالم فرنسي منضلع بالكتابات المسمارية والعلوم الآشورية بصورة خاصة وله مؤلفات كثيرة في حقول اختصاصه • ويعتبر من القلائل في العالم المتخصصين بدراسة قواعد اللغة الاكدية ولهجاتها المتعددة وهو متضلع باللغة العيلامية المسمارية أيضا • ومن كتابات لابات المتعددة مواضيع خاصة بالطب القديم ومكملاته من علوم الحياة والفيزياء والسحر والفأل والتنجيم في وادي الرافدين • كذلك له

يعمل لابات اليوم كاستاذ في كلية فرنسا ورئيسا لاحد أقسام معهد الدراسات العليا في السوربون وانتخب في عام ١٩٦٨-١٩٦٩ عضوا في الاكاديمية

Manuel D'Epigraphie Akkadienne (١٣) (Signes, Syllabaire, Idéogrammes).

الطبعة الاولى باريس ١٩٤٨ ، ط ٤ ، ١٩٦٣ الفرنسية •

« عندما الاله آنو وانليل ... »

« اذا خرب أو بنى ... »

وعنوان المجموعة الاخيرة في الاكديّة
iqqur ipush يعتبر من أكثر المواضيع
تفصيلا واهمية ، وهو موضوع كتاب البروفسور
لابات •

ان المجموعة الاخيرة هذه تتعلق ببناء بيت
وديمومته أو خرابه ، ونجد انها لا تتبع نفس
أسلوب التعابير الخاصة بالتنجيم فقد يبدأ صدر
الجملة بتعبير يتبعه كلام طويل ثم يكون عجز الجملة ،
أي ان العجز لا يحمل صفة الجواب المبشر ،
بينما نجد ان التقليد المتبع في تأليف هذه
المجموعات ان تكون الجملة مركبة حسب صيغ
تقليدية ، فالحدث عن سبب حدث معين تتبعه
مباشرة نتيجة هذا الحدث أو الفعل ، ومن الناحية
التحويلية والزمنية تكون صيغة الفعل في مضمون
الطلب من صيغ الفعل الماضي ، بينما الجواب
يكون في صيغة المستقبل وكمونج على ذلك :-
« اذا كان قد اتخذ زوجة ، فان قلبه

سيثشي » •

ان كل الحوادث المعروضة في مجموعات
هذه المؤلفات وضعت بشكل ينسجم مع تسابع
الزمن المتسلسل ، لفترة السنة ، والشهر وأحيانا
ليوم من الشهر • وقبل ان نفصل نماذج هذه
المجموعات نذكر أسماء الاشهر لعلاقتها المباشرة
بنتيجة الفعل ، وعلاقتها بالناحية المناخية في وادي
الرافدين كما يمكن هضمها بسهولة لقرب ألفاظها
من الفاظ الاشهر في عراقنا المعاصر •

وكتابه « تقويم بابلي لأفعال الرموز
والشهور » يعتبر من المؤلفات المهمة والخاصة
بتفاصيل دقيقة جدا في حقل المؤلفات الاكديّة ،
ويضم الكتاب مقدمة في خمس وعشرين صفحة ثم
قائمة بأسماء الاشهر حسب التقويم البابلي وبعده
ترجمة لأكثر من مائة مادة كل واحدة منها تحوي
حوالي عشرين سطرا تتعلق كلها ، بموضوع
الكهانة والعرافة ومعرفة الفأل أو المستقبل والاعمال
الواجب عملها وبالعكس وما هو فعل حسن
الطالع وما هو عكسه •

يذكر لابات في المقدمة اهتمام الآشوريين
والبابليين بالتنجيم وبدراساتهم الواسعة استطاعوا
ان يربطوا اوضاع النجوم والكواكب وحركاتها
ومداراتها بالحياة العامة والحية اليومية الخاصة •
وان العرافة ومعرفة المستقبل تستند عندهم على
مبدأ مزدوج يرجع كل الاشياء والأفعال الى شكل
من أشكال الرمز المرتبط بوقوع الحدث ،
وينسجم هذا مع دورة زمنية ذات حسابات
مضبوطة ، وتنتج من هذا طريقة تبحث في الحقيقة
ومفهومها وهكذا فان طريقتهم في معرفة المستقبل
والفأل لا تبحث في ظواهر الاشياء فحسب وانما
في مسيبتها ونتائجها ، ونتيجة ممارستهم الطويلة
لهذا الضرب من الدراسات فانهم الفوا رسائل
كثيرة بحثت في كل جوانب النشاط البشري ،
والظواهر الطبيعية للاشياء ، وحتى تلك المتعلقة
بالحيوانات ، لقد صنفت هذه المؤلفات في مجموعات
متنوعة تكون عناوينها منسجمة مع محتوى الموضوع
المفصل ، ومن عناوين هذه المؤلفات :

« اذا كانت مدينة على ارتفاع معين ... »

- ان السنة الاكديّة حسب التقويم البابلي تبدأ بشهر نيسان وتنتهي بشهر آذار وألفاظها في الاكديّة حسب تسلسلها كآلآتي :
- “Nisan, Aiar, Siwan, Du’uzu, Ab, Elul, Teshrit, Arahsamna, Kislev, Tebet, Shebat, Addar”
- ويقابلها بالعربية : نيسان ، ايار ، حزيران ، تموز ، آب ، ايلول ، تشرين أول ، تشرين ثاني ، كانون أول ، كانون ثاني ، شباط ، آذار *
- اما مضامين المجموعات الخصة بعلم التنجيم ومعرفة المستقبل وافعال التي بحثها لابات هنا فهنا مقسمة الى مجموعتين كبيرتين الاولى تضم مجموعات متنوعة ، اما الثانية فمجموعة تبحث في ظاهرة واحدة * المجموعة الاولى تضم المواد :
- ١ - ٢٨ ، ٥٠ - ٥٣ : تبحث في بناء البيوت السكنية وصيانة هذه البيوت وتبديلها وهدمها *
- ٢٩ - ٣٣ : تبحث في تأسيس البيوت السكنية والمقدسة (المعابد) *
- ٣٤ - ٤١ : تبحث في الطقوس المعمولة والالتفات الدينية الخاصة بالعبادة *
- ٤٢ - ٤٩ ، ٦٠ : تبحث في أعمال الزراعة واحداق والآبار وأشجار النخيل *
- ٥٥ - ٥٧ : تبحث في اعراض مرضية خاصة كالحمى والتهديان *
- ٥٨ - ٥٩ : تبحث في نتائج مصادفة حوادث مشؤومة كلافعى مثلا *
- ٦١ - ٦٤ : تبحث في أمور خصة بالولادة والازواج *
- ٦٥ - ٦٦ : تبحث في أمور الحرائق *
- أما القسم الثاني من تأليف هذه المجموعات فيبحث في ظواهر طبيعية فقط :-
- ٦٧ - ٦٨ : اتحاد القمر بالشمس ، وظهور القمر الجديد *
- ٦٩ - ٨١ : ما يصحب خسوف القمر وكسوف الشمس من ظواهر *
- ٨٢ - ٨٦ : ظهور كوكب فينوس *
- ٨٧ : لمعان النجوم وضياؤها *
- ٨٨ - ٩٤ : ظواهر الرعد وما يصاحبه من ظواهر أخرى مختلفة *
- ٩٥ - ٩٩ : الامطار والضباب ورياح الجنوب *
- ١٠٠ - ١٠١ : الهزات الارضية *
- ١٠٢ : الطين ، كميّاته وغطاؤه للارض خلال أشهر السنة *
- ١٠٣ - ١٠٤ : ترسبات الانهار وعلاقتها بالموت والزراعة وبالرياح والامطار ***
- وتنتهي المجموعة هذه بمضمون خاص للفصل الأخير (١٠٥) يخص الالهة الكبيرة واختصاصاتها المرتبطة والمتعلقة بأشهر السنة :
- نيسان : شهر الاله آنو وانليل *
- ايار : شهر الاله ايا ، سيد الشعوب *
- حزيران : شهر الاله سن ، الابن البكر لانليل *
- تموز : شهر الاله نورتا ، البطل الكبير *
- آب : شهر سيدة الارض ، نكيزيدا *
- ايلول : شهر الآلهة عشتار ، سيدة الشعوب *

تشرين أول : شهر الاله شمش بطل كل العالم •
 لحرركة هذه الرياح تفسير فأل مرتبط باحتمال موت ملك مثلاً •••

تشرين ثاني : شهر الاله مردوخ ، أكثر الالهة حكمة •

كانون أول : شهر الاله نركال ابطل الكبير •

كانون ثاني : شهر الاله يابسوكل ، وزير الاله آنو والالهة عشتار •

شباط : شهر الاله أدد ، سيد المياه والسماء والارض •

آذار : شهر الالهة السبعة (الالهة العظام) ثم هناك شهر آذار (الاضافي) (١٤) وهو الاله آشور (أبو الالهة) •

ان طبيعة التكهينات الخاصة بالظواهر الطبيعية ، لم تفصل أبدا عن الخبرة والتجربة اللتين اكتسبهما شعب وادي الرافدين الزراعي

خلال ممارساته الطويلة • ان جانب الغموض يرتبط بتفسيراتهم ، والطابع الشعبي يسود في الأدب عندما يذكر أقوالا في الحكم ، كما نلمس أيضا اهتمام المتخصصين بهذا الحقل للنشواذ والخوارق من الاحداث • فلم يكن مثلا تفسيرهم لرياح الجنوب في وادي الرافدين يرتبط بالزراعة أو بما تسببه من أمطار في الشتاء ورياح حارة رطبة في الصيف تؤدي الى نضوج أثمار أشجار النخيل ، وانما القصد من تفسيرهم

ان من نماذج المجموعة الاولى الخاصة بالتكهن ، ما يتعلق بفعل البناء والتأسيس لدار سكن والذني يرتبط حدوثه بأشهر السنة النموذج التالي : -

(المادة : ١)

اذا كان تأسيس البيت في شهر نيسان ، فإن هذا البيت لن يجلب الفرحة لصاحبه •

اذا كان تأسيس البيت في النصف الثاني من شهر نيسان فإن حوادث الموت تكون متتالية فيه •

اذا كان تأسيس البيت في شهر أيار فسوف تحدث كوارث فيه •

اذا كان تأسيس البيت في شهر حزيران ، فسوف يُعظم صاحبه •

كان يبدأ بظهور القمر الجديد • وان كل هذه الايام والاشهر مكرسة ومطابقة لاله معين وذلك حسب التقويم الابدي والذي وجدنا منه نماذج متعددة • انظر : الديانة عند البابليين - ترجمة الدكتور وليد الجادر • بغداد (١٩٧٠) ص ١٥٣ •

(١٤) لقد كان تقسيم السنة حسب مدار القمر الى اثني عشر شهرا (يضاف الى ذلك بين وقت وآخر شهر آخر لموازنتها مع السنة الشمسية) ، وكل شهر من هذه الاشهر كان مقسما الى ٢٩ يوما او ٣٠ يوما • واول الشهر

- إذا كان تأسيس البيت في شهر تموز ،
فسيكون نصيبه الكمال •
- إذا كان تأسيس البيت في شهر آب فسيكون
إلصاحب البيت أطفال •
- إذا كان تأسيس البيت في شهر ايلول فان
الالهة عشتار سوف تمهله في سلب ثروته •
- إذا كان تأسيس البيت في النصف الثاني من
شهر ايلول ، فانه سوف يتهدم •
- إذا كان تأسيس البيت في شهر تشرين
الاول ، فان الهه صاحب البيت لن يكف عن
حراسته •
- إذا كان تأسيس البيت في شهر تشرين
الثاني فن استثمار أمواله سوف ينجح •
- إذا كان تأسيس البيت في شهر كانون
الاول فن الموت سوف يتوالى فيه • تحقيق كابوتير
- إذا كان تأسيس البيت في شهر كانون
الثاني فان صاحب البيت سوف يمرض ويكون عليل
الصحة •
- إذا كان تأسيس البيت في شهر شباط فن
البيت سيظل بلا سقف •
- إذا كان تأسيس البيت في شهر آذار ،
فسوف يحرز صاحبه انتصارا •
- إذا كان تأسيس البيت في نهاية شهر آذار
فسوف يكون صاحب البيت سعيدا جدا •
- ومن نماذج العرافة والقال الخاص بملاقة
الأفعى (المادة ٥٨) :-
- إذا لمحت أفعى رجلا في بداية السنة ، في
اليوم الاول من نيسان أو اليوم الاول من أيار ،
وخلال النهار أو في الليل فان هذا الرجل سوف
- يموت في نفس السنة •
- إذا لمحته الأفعى في اليوم الاول حتى اليوم
الخامس عشر من شهر أيار ، فان أيامه تصبح
قصيرة وسوف يلاقى أذى •
- إذا سقطت أفعى خلف أو أمام رجل في
شهر حزيران فستحدث له خسارة •
- وإذا صادفت أفعى رجلا في شهر حزيران ،
فستحدث له خسارة •
- إذا صادف رجل أفعى في شهر شباط ،
خلال فصل البرد ، فان الناس سيبيعون أطفالهم
وأملأهم من أجل الفضة •
- إذا صادف رجل أفعى في شهر آذار فان
الظلمات سيفمرها الضوء •
- لقد ارتبط السحر والعلم بالدين ، منذ
اولى محاولات الانسان في سبيل تفسير وجوده
والعالم ، وممارسة السحر في وادي الرافدين
كانت مترادفة مع معظم الافعال اليومية للفرد ،
وأصبح هذا الفعل تقليدا أبعد الانسان عن
واقعيته وذلك لحاجته في اقناع نفسه بكمال فعله
وصحته • ومع شيوع ممارسة السحر على هذا
النطاق الواسع في وادي الرافدين وخلال نزوح
الحضارة المتطورة ، منذ عصر سلالة اور الثالثة
فن الانسان لم يتوصل الى مرحلة تكوين نظام
خاص بالسحر يشبه نظام الديانة الذي عرفناه في
وادي الرافدين ، على الرغم من كثرة ما ألف
في موضوع التنجيم والقال من نصوص بالمسمارية
وعلى الرغم من القواعد السحرية الموضوعة
أحيانا لحالات خاصة ، كاستخدام لون الملابس
الحسراء لطرد الأرواح الشريرة وللشفاء من

مواضيع أحد المؤتمرات الخاصة بعلم الآشوريات الذي عقد قبل أربع سنوات مكرسا لهذا الضرب من التفكير المختص بالتنجيم والفأل ومعرفة المستقبل •

ان اخراج البروفسور لابات هذا الموضوع بشكل متكامل يدل على خبرة طويلة تزيد على الاربعين عاما • ولقد كانت تشخيصاته الصائبة والدقيقة للمفردات المتعلقة بهذا الموضوع نابعة من اجادته وضبطه لقواعد اللغة الأكديّة ، وفنون استخلاص مرادفات المعاني التي تعطي تعبيرا أكديا معينا أو حكمة معينة • ان الشمولية ذات الطابع العلمي التي يتميز بها كتاب لابات تتحدد أيضا في وضعه جدولا دقيقا يذكر فيه النصوص الأخرى التي ترتبط مع نصوص مجموعاته المبحوثة والمترجمة من قبله لأول مرة • شرت مقالات وبحوث أخرى من قبل علماء آخرين ومنها دراسات A.L. Oppenheim في كتابه (١٥) الشهير الخاص بالأحلام في وادي الرافدين "Dreams" وكتب أخرى مذكورة في هوامش كتاب لابات • ويناقش لابات في مواضع عديدة ترجمات تعابير أكديّة خصّة بالموضوع • كما يحتوي الكتاب أيضا على ثمان وأربعين صفحة من أصل الكتابة المسمارية المستسخة من قبله •

بعض الامراض كالحصبة ، واستخدام أحجار بلون أخضر وأسود تعلق في رقبة المرأة الحامل، يقصد منها اكمال مدة حمل المرأة بسسلاام وللحيلولة دون سقوط الطفل • كما نعرف أيضا وجود حركات وصيحات يقوم بها السحرة وهي في جملتها تشكل بحثا كاملا وطريفا جدا • ولي زميل على وشك الانتهاء من رسالة يعدها باشراف البروفسور لابات نفسه وموضوعها « الحركات والاعمال الأخرى التي يقوم بها الطبيب خلال مذرسته لاختصاصه » • ان النصوص الخاصة بالموضوع كثيرة وتكمن صعوبتها في تشخيص المفردات الدالة • وأي شخص لا يتقن علم وقواعد اللغة الأكديّة يعتبر الموضوع شائكا جدا •

ان معرفة علة المريض وتشخيصها من قبل الساحر والطبيب تعتبر من الواجبات الرئيسية وبدونها تصبح مزرسة الساحر والطبيب لاختصاصاتهم بلا جدوى • وهكذا فإن النتائج الموضوعية لمعالجة حالات مرضية وظواهر مادية ونفسية ، وتلك المتعلقة بالظواهر الطبيعية ، لم تكن من تحصيل ابتكارات أفراد عاديين وانما يختص بها أفراد متضلعون بعلوم الفلك والطب والفيزياء والكيمياء ولهم المسام جيد بالحالات المرتبطة بالظواهر الطبيعية اذفة الى دقتهم وذكائهم في ربط الحوادث بشكل يمكن اقناع الآخرين • لقد كون هؤلاء المختصون طبقة وعالم خاصا يرتبط بعالم الدين والمعبد والالهة •

ان مثل هذه المواضيع لها أهمية كبيرة في فهم الفكر الخاص بحضارة ما ، لقد كان محور

The Interpretation of Dreams in (١٥) the Ancient Near East. With translation of an Assyrian Dream-Book. Philadelphia. 1956.